﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨﴾ [طه: 8]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

جاءت هذه الآية تذييلًا لِما قبلها؛ لأنَّ ما قبْلها تضمَّن صفاتٍ من فعلِ الله تعالى ومن خلقِه ومن عظمتِه، فجاءت هذه الآية تذييلًا بما يجمعُ صفاتِه لبيانِ أَنَّ المَوصوفَ بِالقُدرَةِ وبِالعِلمِ على الوَجه الَّذي تَقَدَّمَ واحِدٌ لا شَريكَ لَهُ، وهوَ الذي يستحقُّ العبادةَ دون غيرِه[1].

لا شريكَ لله تعالى ولا منازعَ له في ألوهيَّتِه، فهو الواحدُ الأحدُ الفردُ الصَّمدُ

وأيضًا لَمَّا كان من هو بهذه الأوصاف من تمام العلم والقدرة ربَّما ظُنَّ أنَّ له منازعًا؛ نفى ذلك بقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ مُعلِمًا أنَّ هذا الظنَّ باطلٌ قطعًا لا شُبهةَ فيه[2].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

يُخبرُ الله تعالى عن ذاتِه بأنَّه هو المعبودُ الذي لا تصلحُ العبادةُ إلَّا له، فما ذُكِرَ من صفاتِ الكمالِ التي تقدَّمتْ ليسَ بأهلٍ لها إلَّا ذلك المعبودُ الحقُّ الذي لا ربَّ غيرُه، ولا إلهَ سواه، وله الصِّفاتُ الحسنى الدَّالَّةُ على التَّقديسِ والتَّمجيدِ، والأفعالِ التي هي غايةٌ في الحكمةِ والسَّدادِ، فإنَّ له سبحانه الأسماءَ الحسنى[3].

صفاتُ الكمالِ والجلالِ لا يَستحقُّها إلَّا الله ﷻ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الاستئنافِ البيانيِّ في الآية:

الجملةُ في قولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ، كأنَّه قيلَ: مَنِ الموصوفُ بصفاتِ الكمالِ من عظيم المُلكِ والقدرةِ والعلمِ الكامل؟ فجاءت الجملةُ مسوقةً لبيانِ أنَّ ما ذُكِرَ

التَّنبيهُ إلى عِظَمِ شأنِ ما يُذكرُ لتقريرِ الإذعانِ والتَّسليمِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 11، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 191.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 270.
(3) المراغي، تفسير المراغي: 16/ 96.

من صفات الكمالِ موصوفُها ذلك المعبودُ بالحقِّ الموصوفُ بالصِّفاتِ الجليلةِ[1]، وفي الاستئنافِ البيانيِّ استدرارٌ لأسماعِ المخاطَبين، وتنبيهٌ إلى عظمِ شأنِ ما يُذكرُ، لتقريرِ الإذعانِ والتَّسليمِ.

بلاغةُ مجيءِ لفظِ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾:

اللـه تعالى واحدٌ بذاتِه وإنِ افترقت عباراتُ صفاتِه

يحتملُ أن يكون لفظُ الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ مرفوعًا على المدحِ بحذف المسنَدِ إليه الذي يقع في الكلام البليغ[2]، جَرْيًا على ما تَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِه تَعالَى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾؛ فإنَّه لمَّا أخبر عن صفاتِ الكمالِ في تنزيله القرآنَ، وما أُسنِدَ إليه تعالى من خلق جميعِ الموجوداتِ ومنَ الرّحمانيّةِ ومن ملكِه التَّامّ لجميعِ المخلوقاتِ والعلمِ الشَّاملِ؛ أخبرَ عن ذاتِه بالاسم الجليلِ الجامعِ لصفاتِ الجلالِ والجمالِ والكمالِ بحذفِ المسنَدِ إليه إيذانًا بأنَّ هذه الأوصافَ لا تصلحُ إلَّا لله ﷻ، وأنَّه تعالى واحدٌ بذاته وإنِ افترقت عباراتُ صفاتِه، للرّدِّ على قولهم: إنَّك تدعو آلهةً حين سمعوا أسماءَه تعالى، فيكونُ التَّقديرُ: (هو الله لا إله إلَّا هو)، فيكونُ الضَّميرُ المحذوفُ متضمِّنًا كلَّ الأوصاف المذكورةِ، ويكونُ لفظُ الجلالة خبرًا عنه، ويحتملُ أن تكون جملةُ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبرًا ثانيًا، وجملةُ ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ خبرًا ثالثًا، ليفيد تعدُّدُ الخبر تعظيمَ شأنِ المسنَدِ إليه المتضمِّن معانيَ الصِّفاتِ المذكورة، كما يُحتَمل أن تكون الجملتان ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ و﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ حاليتَين من اسمِ الجلالةِ، على معنى الحالِ المقترنةِ، بمعنى: أنَّ كلَّ أوصافِه وأفعالِه غيرُ منفكَّةٍ عن حالِ توحيدِه سبحانه وحالِ كمالِ الإحسانِ.

ويُحتَملُ توجيهٌ آخرُ، بأن يكون لفظُ الجلالة مسندًا إليه

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 313، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 5.
(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 147، والسكاكي، مفتاح العلوم، ص: 176.

(مبتدأً)، وأخبرَ عنه بجملتَين هما ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ و﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، ويجري في هذا التَّوجيه فائدةُ تعدُّد الخبرِ كذلك[1].

فائدةُ الخبرِ في قولِه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾:

تضمَّن الخبرُ التَّعريضَ بمنِ اتَّخذوا من دون الله شركاءَ

جاءت هذه الجملةُ تحقيقًا للحقِّ وتصريحًا بما تضمَّنه ما قبْله من اختصاصِ الألوهيّةِ به سبحانه، فإنَّ ما أُسند إليه تعالى من خلق جميعِ تنزيلِ القرآن واستوائِه على العرشِ برحمانيَّتِه وملكِه التَّامِّ لجميعِ المخلوقات والعلمِ الشَّاملِ ممَّا يقتضي أنَّه الإلهُ الواحدُ الأحدُ اقتضاءً بيّنًا، أي: ما ذُكِرَ من صفاتِ الكمال الَّتي تقدَّمت ليس بأهلٍ لها إلَّا ذلك المعبودُ الحقُّ الذي لا ربَّ غيرُه ولا إله سواه[2].

بلاغةُ القصْرِ في قولِه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾:

لا معبودَ يستحقُّ العبادةَ إلَّا اللهُ ﷻ

جاءتِ الجملةُ على القصرِ، وهو قصرٌ حقيقيٌّ، من قصر الصِّفةِ على الموصوف، ليفيدَ اختصاصَ المقصورِ بالمقصورِ عليه حقيقةً وواقعًا، بطريق النَّفي والإثباتِ، مع تضمُّنِه معنى التَّأكيدِ والإنكارِ على المكذِّبين الذين يُصرّون على خطئِهم في إشراكِهم باللّٰه سبحانه، ليفيدَ القصرُ نفيَ الألوهيَّة عن أيِّ معبودٍ وإثباتَها له سبحانه، بمعنى: لا معبودَ يستحقُّ العبادةَ إلَّا هو ﷻ؛ وليفيدَ الكلامُ قصرَ وصفِ الألوهيّة عليه سبحانه، ونفيَ أيِّ معبودٍ بحقٍّ غيره، مع إثباتِ أوصافٍ أخرى له سبحانه؛ ولهذا أعقبه بقولِه: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

بلاغةُ نفيِ الجنسِ والاستثناء في الآية:

ما يعبدُ المشركونَ ليسَ إلهًا على الحقيقةِ، بل هو ادِّعاءٌ وكذبٌ

في قولِه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تدلُّ ﴿لَآ﴾ على نفي الجنسِ، بمعنى أنَّها نصٌّ في نفي الجنسِ المقتضي نفيَ كلِّ أفرادِ ذلك الجنسِ، بمعنى أنَّها تنفي أيَّ معبودٍ بحقٍّ، ولمَّا اقترن النَّفيُ بـ﴿إِلَّا﴾؛ أفادَ إثباتَ ألوهيَّة اللّٰه تعالى وحدَه، أو يقال: إنَّ ﴿لَآ﴾ هنا نَفَتْ أيَّ إلهٍ موجودٍ

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 313.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 5، والمراغي، تفسير المراغي: 16/ 96.

– على اعتبار أنَّ ما يعبدُه المشركون ليس إلهًا على الحقيقةِ بل هو ادِّعاء وكذبٌ – وجاء الاستثناءُ لإثبات ألوهيَّةِ الله وحدَه.

معنى اللام في ﴿لَهُ﴾:

يعود الضَّمير على الاسم الجليل ﴿ٱللَّهُ﴾ الجامع لصفات الجلالِ والكمالِ، وتفيد اللام معنى الاختصاص، بمعنى: أنَّ الأسماء الحسنى مختصَّةٌ به ﷻ.

لا تختصُّ الأسماءُ الحُسنى إلَّا بالله ﷻ ولا تليق إلَّا به

بلاغةُ التّقديمِ في قوله: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾:

قُدِّمَ المسندُ، أي: الجارُّ والمجرور ﴿لَهُ﴾ على المسنَدِ إليه ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ لِلاخْتِصاصِ وللاهتمامِ المفيدِ تأكيدَ استحقاقِ هذه الأسماء الحسنى لله تعالى، والتَّقديرُ: (ليس لأحدٍ الأسماءُ الحسنى إلَّا له سبحانَه)، فيفيدُ التَّقديمُ إثباتَها له سبحانه ونفيَها عن غيرِه، أَيْ: له الأسماءُ الحسنى لا لِغَيْرِه؛ لِأَنَّ غَيْرَهُ إِمَّا أَنْ يَكونَ اسْمُهُ مُجَرَّدًا مِنَ المَعاني المَدْلولَةِ لِلأَسْماءِ مِثْلَ الأَصْنامِ، وإِمَّا أَنْ تَكونَ حَقائِقُها فيه غيرَ بالِغَةٍ مُنْتَهَى كَمالِ حَقيقَتِها كاتِّصافِ البَشَرِ بِالرَّحْمَةِ والمُلْكِ، وإِمَّا أَنْ يَكونَ الاتِّصافُ بِها كَذِبًا لا حَقيقَةً، كاتِّصافِ البَشَرِ بِالكِبْرِ؛ إِذْ لَيْسَ أَهْلًا لِلْكِبْرِ والجَبَروتِ والعِزَّةِ[1]، وقَدِ التُزِمَ مِثْلُ هَذا التَّقْديمِ في جَميعِ الآيِ الَّتي في هَذا الغَرَضِ مثل قَوْلِه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: 180]، وقولِه: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: 110]، وقولِه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: 24].

ليس لأحدٍ الأسماءُ الحُسنى إلَّا لله ﷻ

دلالةُ التَّقييد بالصِّفة في قوله: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾:

﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ صفةٌ كاشفةٌ؛ لأنَّ كلَّ أسمائِه حسنى، وفائدةُ مجيءِ الصِّفةِ الكاشفةِ مدحُ الأسماءِ ولزيادةِ البيانِ والإيضاحِ.

كلُّ أسماءِ الله حسنى

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 192.

براعةُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾:

﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ تَأْنيثُ الأَحْسَنِ، وجاءت الصِّفَةُ مؤنَّثةً؛ لأنَّ الصفةَ المُؤَنَّثَةَ المُفْرَدَةَ تَجْري على جَمعِ التَّكْسيرِ، وحَسَّنَ ذَلِكَ كَوْنُها وقَعَتْ فاصِلَةً، ومعنى الأَحْسَنِيَّةِ في أسمائِه سبحانه كَوْنُها تَضَمَّنَتِ المَعانيَ الَّتي هيَ في غايَةِ الحُسْنِ والشَّرف والفضلِ مِنَ التَّقْديسِ والتَّعْظيم والرُّبوبيَّةِ، وتضمَّنتِ الأَفْعالَ الَّتي لا يُمكِنُ صُدورُها إلَّا مِنْهُ، ولا يكونُ منها إلَّا الأحسنُ، وقصورُنا عن إدراك حسنِ أفعالِ اللّٰه لقصور علْمِنا بها وبمآلِها، وحُسْنُ الأسماء يَرْجِعُ إلى مَعْنَى الإحْسانِ، فاسْمُ الجبَّارِ والغَفَّارِ والرَّحيمِ إنَّما كانَتْ حسنى؛ لأَنَّها دالَّةٌ على مَعْنَى الإحْسانِ، وكلُّ أسمائِه كذلك، ومن حُسنها أنَّها كلَّها أسماءٌ دالّةٌ على المدحِ، فليس فيها اسمٌ لا يدلُّ على المدحِ والحمدِ، ومن حسنِها أنَّها ليست أعلامًا محضةً، وإنَّما هي أسماءٌ وأوصافٌ، ومن حسنِها أنَّها دالَّةٌ على الصِّفاتِ الكاملةِ وأنَّ له من كلِّ صفةٍ أكملَها وأعمَّها وأجلَّها، ومن حسنِها أنَّها متنوِّعةُ الأوصافِ، والمعاني الحسنى جامعةٌ لها، ومن حسنها أنَّه أمرَ العباد أنْ يدعوه بها؛ لأنَّها وسيلةٌ مقرّبةٌ إليه يحبُّها، ويحبُّ مَنْ يحبُّها، ويحبُّ مَنْ يحفظُها، ويحبُّ مَنْ يبحثُ عن معانيها، ويتعبَّدُ له بها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: 180][1].

كلُّ ما يفعلُه اللّٰه هو على الوجه الأحسنِ؛ لأنَّ له الأسماءَ الحُسنى

فائدةُ الخبرِ في جملةِ ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾:

تقدَّم أنَّ هذه الجملةَ تحتملُ أن تكون خبرًا ثانيًا عن لفظ الجلالة، وأن تكون خبرًا ثالثًا عنِ المسنَد إليه المحذوفِ، وعلى كلا الوجهين فإنَّ مجيء هذه الجملةِ بيانٌ لكون ما ذكرَ منَ الخالقيّةِ والرّحمانيّةِ والمالكيّةِ والعالَميّة أسماءَه وصفاتِه من غير تعدُّدٍ في

كلُّ أوصافِ اللّٰه تعالى في غايةِ الحُسنِ، وكلُّ أفعالِه في غايةِ الحكمةِ والسَّدادِ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 22/ 15، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 23، وأبو حيان، البحر المحيط: 7/ 314، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 501.

ذاته ﷻ، وأنَّ ما ذكر من صفات الكمالِ التي تقدَّمت ليس بأهل لها إلَّا اللّه الذي لا إله إلَّا هو الذي له الصّفاتُ الحسنى الدَّالَّة أنَّ كلَّ أوصافه في غاية الحُسنِ، وأنَّ أفعالَه في غايةِ الحكمةِ والسّداد[1].

دلالةُ التَّعبيرِ بالجملةِ الاسميّةِ في الآية:

لله تعالى صفاتُ الكمال والجلال التي لا يَشوبُها نقصٌ

لَمَّا كانتِ الجملةُ الاسميّةُ تفيدُ الثّبوتَ؛ أفاد التَّعبيرُ بها في قولِه: ﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ أنَّه تعالى متَّصفٌ بصفات الكمال التي لا يصحُّ، ولا يُتصوَّرُ أن يشوبَها نقص ما، وأنَّ اتِّصافَه بها أمرٌ ثابتٌ، بأنَّه تعالى متِّصف بها دائمًا اتِّصافًا حقيقيًّا لا يمكن انفكاكُه، كما يكون لغيره منَ الاتِّصاف ببعض المحاسن في بعض الأحايين، ثمَّ يعجزُ عنه في وقت آخرَ أو بالنسبة إلى زمان آخرَ[2].

بلاغةُ التَّذييل:

جمعُ أوصافِ الله تعالى العَليا مع كمالِها في هذه الآية

جاء قولُه تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ تَذْييلًا لِلكلامِ قبله، ولهذا ابتدأ الكلامُ بعدَه بقصَّةِ موسى ﷺ، وبيانُ التَّذييل أنَّ ما قبله تَضَّمَنَ صِفاتٍ مِنْ فِعْلِ اللّه تَعالى ومِنْ خَلْقِه ومِنْ عَظَمَتِه وعمومِ ملكه وكمالِ علمِه، فجاءَ هَذا التَّذْييلُ بِما يَجْمَعُ صِفاتِ اللّه تعالى العُليا مع كمالِ وصفِ المدحِ لذاتِه وصفاتِه، وفي جملة التَّذييل معنى الكلّيَّةِ، وهي تجري مجرَى المثل في حكايتِه وعمومِه.

(1) أبو السعود إرشاد العقل السليم: 6/ 6، والمراغي، تفسير المراغي: 16/ 96.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 270.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والثلاثون،
سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 31 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-73-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 31 : المجلد الحادي والثلاثون، سورة مريمَ من الآية 13 إلى سورة طه الآية 35.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-73-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9736546 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»